

الفرق بين العقد والملح

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فأسأل الله -جلّ وعلا- أن يجعلني وإياك ممّن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر، فإنّ هذه -كما قال إمام الدعوة- عنوان السعادة.

وأسأله -جلّ وعلا- لي ولك الثبات على الحق والهدى وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يلهمنا ويوفقنا إلى الحق، ويمنّ علينا باتباعه والالتزام به، وأن يوفقنا إلى هدي محمد ﷺ في جميع الأحوال في حالتي الفقر والغنى وفي حالتي الرضا والغضب.

وأسأله -سبحانه- أن يصلنا بحبله وأن لا يقطع ذلك بذنوبنا.

ثم إنّ هذه الدّروس لأجل عدم حضور من كان العادة يحضر في درس «كشف الشبهات»، نقدّم لهذه الدروس بمقدمة في العلم وطلبه كالعادة، لعلها أن تكون نافعة إن شاء الله.

من المعلوم أنّ العلم قسمان كما يقول طائفة من أهل العلم منهم الشاطبي في أول «الموافقات»: العلم قسمان: عُقْدٌ، ومُلَحٌ.

والعقد: تعقد القلب مع العلم.

والملاح: لا بد منها للمسير في طلب العلم.

واستمرار المرء بعقد العلم -يعني: بقوي العلم وأصوله ومنهجيته- دون ملحه قد يجعل المرء يكسل أو يمل؛ لأنّ النفس حُمُضَةٌ تحتاج إلى أن تُصقل وتُزال بشيء من الملح، ولهذا روى ابن عبد البر وروى غيره أنّ ابن شهاب الزهري -الإمام المعروف- كان إذا أعطى الدرس في الحديث وانتهى قال: هاتوا من ملحكم، هاتوا من أشعاركم، هاتوا من أخباركم. فياخذوا: هذا يقص وهذا يقص، ويروي هذا ويروي ذاك، فتأنس النفس بما ذكر ويكون لها نشاطاً فيما تستقبل.

العلم عُقْدُهُ هي الأصل، هي الغاية، ومُلَحُّهُ وسيلة لهذه الغاية، وسيلة لتقوية الذهن ولتوسيع المعارف؛ فعقد العلم أيضاً قسمان: علوم أصلية وعلوم صناعية.

أما العلوم الأصلية: فهي التفسير والحديث والفقه والتوحيد -العقيدة-.. ونحو ذلك.

والعلوم الصناعية: هي علوم الآلة، سمّيت صناعية لأنها كانت اصطلاحية؛ جاءت بعد الأصول مثل مصطلح الحديث وأصول الفقه وأصول التفسير والنحو وعلوم العربية بعامة، وأشباه ذلك.

هذه عُقْدُ العلم؛ يعني أنّ هذه العلوم الأصلية والصناعية لا بد منها لطالب العلم لاستكمال تفقهه في العلم.

وهناك علوم أخرى يحتاجها لتكميل بناء العلم، وهي التي سماها طائفة بمُلَح العلم من مثل قراءة

التاريخ والأخبار والأدب والأشعار وتراجم أهل العلم والمناظرات وما أشبه ذلك، فهذه مُلح، الإطلاع عليها مفيد؛ لكن من جهلها فلا يضره الجهل بها في العلم، لهذا تجد من العلماء الكبار من قد لا يعرف بعض التراجم المفصلة أو تواريخ الوفيات لأهل العلم أو نحو ذلك، ولا يضره هذا؛ لأن هذا ليس من العلم الأصلي الذي به يكون المرء طالب علم أو عالمًا؛ ولكن هذا من الملح.

الفرق بين العقد والملح أن العقد لابد لها من رجال يُعلّمون كيف تُفتح أو كيف تحل هذه العقد؛ لأنها عقدة تحتاج إلى حل، والعقدة مجتمع الشيء لتقويته وتحتاج إلى فكّها حتى تعرف مسار الشيء إلى من يساعدك في هذا، والمساعد هم الرجال؛ هم أهل العلم، وهذا عن طريقين: طريق المشافهة يعني الدروس.

أو عن طريق قراءة الكتب، وفتح المغلق منها عن طريق العلماء، ولهذا قال من قال من السلف: كان العلم في صدور الرجال - يعني قبل أن يدوّن الحديث، قبل أن يدوّن التفسير، قبل أن يدوّن الفقه، كان العلم في صدور الرجال - ثم صار في بطون الكتب، وبقيت مفاتيحه بأيدي الرجال.

العلم انتقل من الصدور إلى الكتب، هذا صحيح؛ ولكن المفاتيح بقيت بأيدي الرجال؛ يعني بأيدي أهل العلم، الكتب قوة قريبة لك تراجع، تفتح، تنظر، تبحث، لكن مفتاح فهم كلام أهل العلم لابد أن يكون معك عن طريق أهل العلم؛ لأن كلام أهل العلم له اصطلاحه، له أصوله، إلى آخره، فلا بد من أخذه عن مُعلّم.

إذن. فصارت العقد هذه أصول العلم التي ذكرنا بنوعها لابد فيها من مُعلم، وإن كان المرء أخذ عن طريق الكتب فلا بد أن يأخذها عن طريق معلم أو يسأل فيما يُشكل منها، ولكن لابد من معلم يفتح لك وتستفيد منه في ذلك، مثل ما ذكرت لك المقولة: كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل إلى بطون الكتب وبقيت مفاتيحه بأيدي الرجال.

أمّا العلوم الأخر أو المُلح؛ ملح العلم فهذه لا تحتاج فيها إلى عالم، تقرأها ما شئت؛ لأنها علوم غير مقصودة لذاتها إلّا فيما إذا كان المرء يريد التخصص، يريد أن يكون متخصصًا في الأدب، في الشعر، في الأخبار، في التاريخ، فهنا يحتاج إلى أن يكون أخذه عن معلم؛ لأنّه يصبح في حقه من العلم المقصود لذاته لا المقصود قصد الوسائل.

تكامل شخصيّة طالب العلم في العلم لابد أن يكون فيها هذا وهذا، ولكن أيّهما يغلب الآخر؟ هل يغلب عليه اهتمامه بالمُلح؛ بالتراجم بالأخبار بالقصص بالحكايات، بتف العلم، بالكتيبات التي تنشر بالفتاوى إلى آخره؟

أم أنّه يهتم بالعقد بأصول العلوم بالعلوم الأصلية والعلوم المساعدة (الصناعية)، ويكون ذاك مكملًا؟ يظهر مما ذكرنا أن الصواب في هذا أن الوسائل هذه - يعني الملح - لابد أن تؤخذ بقدرها؛ تؤخذ بقدرها وبقدرها الملائم لما يكون معه تنشيط النفس في العلم، فإن كان طالب العلم يعيش بالعلم القوي - العقد - بلا ملح نفسه ستضعف بعد فترة ولا يستأنس بالعلم؛ لأن المُلح هذه كالمُح في الطعام، تجعل

المرء يُقبل على الشيء ويزيد منه؛ لأنَّ فيها أنسا ومعها انشراح النفس فيما يقرأ؛ لأنها توافق الرغبة مثل قراءة التواريخ والتراجم والأشعار والأخبار وما شاكل ذلك.

الذي يحصل ونراه في طائفة من الإخوان الشباب أنَّهم يُغلبون المُلح على العلم التَّأصيلي، ولهذا تجد أن بعضهم عنده معلومات واسعة مختلفة؛ لكن ليست مؤصلة، فهذه تكون بسبب غلبة الملح عليه، يعرف تراجم العلماء وأخبارهم وهذا كذا وهذا كذا وحصل منه كذا وفلان وفلان تناظرا وصار بينهما نُفرة، وهذا حكم، في أخبار طويلة وأشعار وقصص وحكايات، لكن أين هو من العلم في نفسه؟ إذا كان قد أصل نفسه في العلم وصارت هذه مساعدة له فيكون قد سار سيرا صحيحا، ولكن إذا غلبت عليه الملح وترك العقد ترك الأصول ترك العلم، فهذا يكون مهزوزا ويكون عنده الملح مقصودة لذاتها، هذا خلاف سنة أهل العلم، سنة أهل العلم أن يكون هذا القسم تنشيطا، أن يكون هذا القسم ترويحيا يُنشِّط المرء بدل أن يقضي وقته الذي يرتاح فيه في كيت وكيت، يُقْضيه مع العلم لكن بشيء تنشط معه النفس وتأنس فيه الروح.

كذلك السَّعي في أخذ العلم وحفظ المتون والقراءة الجادة بدون مُلح هذه تسبب شيئا من الهز والاهتزاز في نفسية طالب العلم؛ لأنَّه لا بد أن يكون عنده هذا وهذا، وإذا أخذ نفسه بالقوة دون الملح فإنه يكسل بعد فترة، هذا مجرَّب، وكل طالب للعلم لنفسه مع العلم إقبال وتوسُّط وإدبار، وهذا لا بد منه، فأقبالها أن يكون نشيطا يجتهد في الحفظ يجتهد في المراجعة يجتهد في البحث بقوة وإقبال، ثم يرى من نفسه أنه في فترة أخرى يريد يتنزه، يتنزه بمعنى يخرج يريد أن يتصل ما يريد يطلب العلم ما يريد يقرأ إلى آخره، هذا بسبب عدم توازنه فيما سار فيه، والذي ينبغي لمن أراد العلم وأراد طلبه أن يكون متوازنا فيه وأن يرعى حقوق النفس والنفس لها حقوق، وإنَّ لنفسك عليك حقًا، وإنَّ لأهلك عليك حقًا، وإنَّ لربك عليك حقًا فأعطي كل ذي حقَّ حقه.

المهم لطالب العلم أن لا ينقطع عن العلم ومن أسباب عدم الانقطاع أن يكون متوازنا فيما يطلب، أن يكون عنده عناية بالملح التي تُنشِّط نفسه يأنس بأخبار وحكايات وطُرف وهذه تطربه وهذه يستغرب منها وهذا موقف، وهذه تقويهِ أيضا في الكلام وفي سعة الإدراك والإطلاع على ما عند الناس وعند أهل العلم.

لذلك مثلا تجد ابن عبد البر مع مصنفاته العظيمة وهو إمام من الأئمة المشهورين مع مصنفاته العظيمة في شروح الحديث كـ«التمهيد» الذي قال فيه لنفسه:

سمير فؤادي مُذ ثلاثين حِجَّةً وصيقل ذهني والمفرِّج عن همي

يقصد «التمهيد» هو المفرِّج من همه، إذا نظر فيه تفرجت همومه لما يجد فيه من الأنس والانشراح، تجد أنه صنّف «التمهيد» وصنّف «الاستذكار» وصنّف «الكافي في الفقه المالكي»، وصنّف «الجامع» المعروف، وصنّف من جهة أخرى كتاب «بهجة المجالس» في الأخبار والأشعار... إلخ، شبيه «بعيون الأخبار» و«البيان والتبيين»، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه وأشباه هذه الكتب، «بهجة المجالس» كتاب

يُكَمِّلُ هذا، لماذا؟

هل معنى هذا أن العالم الكبير يذهب إلى مثل هذا النوع من العلوم لأجل أن الوقت عنده لا قيمة له؟ لا، ولكن لأجل توازن نفسه مع العلم، ولا يريد أن يخرج من العلم إلا إلى العلم، فإما أن يخرج منه إلى لهو كما يلهو الناس أو إلى فرجة أو إلى حديث أو إلى ما شاكل ذلك، أو إلى علم فيه أنس نفسه ويحصل معه المقصود ولا يخرج به عن الكتب وعن العلم، فتجد أن طائفة من العلماء اعتنوا بهذا وعندهم عناية بالملح.

فإذن، عقد العلم وأصوله مهمة وهي الأصل وهي التي تقضي معها الأوقات، ولا بد لك أيضا من رعاية للملح وحفظ الأخبار والأشعار والأمثال وقصص ذلك وقراءة في شيء من كتب الأدب وقراءة في كتب التاريخ والتراجم إلى آخره، فهذه تقوي منك الملكة في العلم ويكون معك أيضا نشاط في العلم بسبب ما ذكر.

فإذن نخلص من هذا إلى ضرورة التوازن، والتوازن ليس معناه التساوي، لا، يُغَلَّبُ؛ يعطي كل ذي حق حقه، فتعطي أصول العلم حقها تعطي وسائل العلم حقها وتعطي الملح أيضا حقها، وهذا أنت تحكم به على نفسك.

إذن طالب العلم يكون له في العلم إقبال وتوسط وإدبار، وهذا كما قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنَّ لكل شيء شِرة، وإن لكل شِرة فترة، فمن كانت فترته إلى سبب أفلح وأنجح، ومن كانت فترته إلى بدعة فقد خاب وخسر»، يعني أنه ما من شيء إلا له قوة إقبال شِرة وقوة وعنفوان وشدة، وله فترة ضعف بعد ذلك، فمن كان ضعفه بعد ذلك إلى سنة يعني اقتصاد في المرء وسنة ومتابعة فهذا أفلح وأنجح، يعني لم تكن فترته إلى غير الهدى إلى معصية، ومن كانت فترته إلى معصية فهذا خاب وخسر، وهذا يجعل طالب العلم ينتبه لنفسيته لا يخسر نفسه لأجل أنه ما أعطاها حقها، وهذا وجدناه من بعض الإخوان وطلبة العلم فإنهم طلبوا العلم قليلا ثم بعد ذلك كسلوا، السبب عدم التوازن، الرغبة كانت في الأول قوية لكن أتعب نفسه أتعب نفسه بغير توازن وظن أنه يمكن أن يأتيه كل شيء جملة مع قوة نفسه، لا، النفس تحتاج إلى تدرج، ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّينَئِمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧١) [آل عمران]، الرباني: هو الذي يعلم الناس صغار العلم قبل كبارهم. وهذا يحتاج إلى تدرج حتى المرء مع نفسه يحتاج إلى أن لا يأتيها جميعا ففي طلب العلم لا تأتي العلم مع كراهيته أو مع التوسط في قبوله، إذا كان لك إقبال فيه فكما قال الشاعر:

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُكْ فَاعْتَنِمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ عَاصِفَةٍ سَكُونُ

إذا وجدت في نفسك نشاطا في العلم أقبل واحفظ، وأكثر من الاطلاع والبحث ثم إذا خفت نفسك مع العلم فدعك في أمور لا تخرجك عن العلم ولكن تظل معه.

هذه الجملة أيضا لها تفصيلات من جهة أنواع ما يسلكه المرء من الملح وما ينبغي وما لا ينبغي، وطلب العلم الجاد وأنه هو الأصل وهو الذي ينبغي للمرء أن يحمل نفسه عليه وأن يجد فيه وأن

يتخلص من الشواغل التي تصرفه عنه.

المسألة الثانية في طلب العلم: الاهتمام بالبحث

وطالب العلم من أسباب حبه للعلم وإقباله عليه أن يكون متلقياً تارة وباحثاً تارة أخرى، إذا عاش دائماً على التلقي دون أن يبحث، دون أن يطالع، يفتش، يحرر المسائل، يحقق في حديث، في مسألة فقهية، في تفسير آية، يذهب ينظر الصحيح، إذا لم يكن مدققاً أو باحثاً فإن نفسه ربما أسنت وربما ضعفت، البحث من أسباب قوة النفس والرغبة في العلم.

ولهذا نقول: لابد لكل طالب علم أن يكون معه هذا وهذا، يكون معه الإقبال، الحفظ وحضور الدروس والمطالعة، ومعه أيضاً قسم آخر، البحث، والبحث ليس معناه أنه إذا بحث شيئاً نشره، بحث شيئاً من العلم يعني لأجل أن يطبعه ويظهر اسمه على دياجة الكتب، ليس هذا المقصود، بحثه ليقوي نفسه وما من أحد من أهل العلم إلا وله بحوث في فترة طلب العلم والشباب لابد له فيها نظر. وقد نبه على هذا النووي رحمته الله في أوائل كتابه «المجموع شرح المذهب»، فإن في أوائله جملة جيدة من آداب العلم وحملة العلم وما ينبغي في ذلك.

البحث هذا الذي تكلموا عنه ليس معناه تخطئة الناس أو تخطئة أهل العلم؛ لأن الباحث ولو جمع لك كلاماً طويلاً من الكتب فإنه يظل باحثاً، ونظر العالم المحقق يختلف؛ لأن هذا يكون إirاده بحسب ما اطلع، لكن الذي لم يطالع عليه كيف يعرفه، القواعد العامة كيف يعرفها؟ الأصول التي تحكم مثل هذه المسائل؟ فتجد أن منهم من يبحث بحوثاً وربما بعض تلك البحوث طبع ولكنه خرج بصورة لا يرضى عنها المحققون من أهل العلم لم؟ لأنه اقتصر فيه على الجمع؛ جمع كلام أهل العلم في المسائل، وليس العلم بالنقل فقط، ولكنه نقل واستنباط وفهم وتحليل، فهذا مع هذا، كما قال عليه الصلاة والسلام: «رب ناقل فقه غير فقيه، ورب ناقل فقه إلى من هو أفقه منه»، فالناقل قد يكون غير فقيه أصلاً، وقد يكون عنده شيء من الفقه ولكن ثم من هو أفقه منه لا يوافقه على ما فقه من هذا العلم.

فإذن إذا بحثت وصار عندك رغبة في البحث والتحرير وتدقيق المسائل في التفسير أو في التوحيد أو في الحديث أو في الفقه، فلا تظن أن هذا هو نهاية المطاف، وأن ما وصلت إليه في بحثك هو الراجح، وهذه هي المشكلة عند كثير من أساتذة الجامعات أنهم إذا حرروا المسألة يبحثهم فيها ظنوا أن هذا هو النهاية فرجحوا، والراجح في نفس الأمر أو الصحيح عند المحققين من أهل العلم خلافه.

فهذا تجد أن في أقوال بعضهم شيئاً من الغرابة، بل تجد في أقوال بعضهم شيئاً من الغرابة لخروجهم عن أقوال المحققين من أهل العلم، لأنه بحث والكتب موجود فيها كل شيء، لو أردت أن تجمع ما شئت من الأقوال في أي قول ذهب إليه لوجدت أن البحث يمكن معه أن تجمع ما شئت.

وهناك قصة طريفة وإن كانت غريبة لكن تدلك على ما في طي هذا الكلام، كان هناك أحد الباحثين في رسالة للدكتوراه وأورد مذهب المعتزلة في مسألة خلق القرآن وسفّهه ونقل نقولاً يسيرة في الموضوع، فالمناقش له وكان أشعرياً المناقش للرسالة - هذا في الأزهر - قال له: إنك أوردت هذين الثقليين أو

الثلاثة عن شيخ الإسلام وغيره في ردّ هذا القول؛ لكن ما تقول في حجج القوم هم احتجوا بكذا، وأورد الدليل الأول واحتجوا بكذا وأورد الدليل الثاني، واحتجوا بكذا ثالث رابع خامس عشرة عشرين إلى نحو الثلاثين من الأدلة التي يستدل بها أهل الاعتزال على خلق القرآن. قال: فما ترد عليها؟ الطالب ما عنده ملكة في هذا الأمر فسكت، فكان هناك حضور وأساتذة والطالب طبعاً يمثل أنه من أصحاب العقيدة السلفية جاء من هذه البلاد فأخرج، قال: ردّ على هذا كيف تقول: أنّ خلق القرآن قول ضعيف وأنّ هذا قول كذا ردّ على هذه الأدلة فلما لم يحجّر جواباً، قال له المناقش: إذن إذا لم تستطع الإجابة عن هذه الإيرادات وهذه الاستدلالات فاسمع جواب أئمة الأشاعرة عليها، فأجابوا عن الأول بكذا -ردّ في محله-، والثاني كذا والثالث كذا، إلى آخره.

نعلم أنّ الأشاعرة نفع الله -جلّ وعلا- بهم في ردّ حجج أهل الاعتزال، فكانوا من أعظم الرّماح في عنق المعتزلة فنّدوا شبههم وفنّدوا استدلالاتهم واحدة تلو واحدة. المقصود من هذا أنّ هذا المناقش أورد هذه الأدلة جميعاً، كلها موجودة فأنّت ممكن تورد ما شئت من الأقوال موجودة في الكتب، لكن الكلام في فقها وكيف تصوّب الصواب وترد الخطأ. فإذن من ليس عنده ملكة قويّة في العلم فالبحث عنده لا يؤهله أن ينشر بحثه ولا أن يجيزه عند نفسه، ولو كان مكث فيه كذا وكذا وجمع من النقول في المسألة إلى آخره؛ لأنّه ثمّ أشياء تفوته. مثل هذا الطالب أورد عليه.. هذه نقول كثيرة ردّ عليها، ما استطاع أن يرد؛ فهكذا الذي يقرأ في الكتب قد يجد أقوالاً هي ضد المذهب الصحيح أو ضد القول الصحيح ما يستطيع أن يحللها ولا أن يرد عليها لضعفه.

فإذن البحث وسيلة لتقوية ملكة طالب العلم في العلم، وليس البحث غايته في أن ينشر طالب العلم بحثه وأن يطبعه للناس وأن يُنشر، إلّا إذا أجازته عدد من أهل العلم ولا غرابة، فالإمام مسلم صاحب «الصحيح»؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري من أنفسهم رَحِمَهُ اللهُ لما صَنَّف كتابه «الصحيح»، عرضه على مشايخ بلده فوافقوه واعترضوا عليه في بعض الأحاديث، وما مكّنه العُمر أن يتم كتابه على نحو ما أراد؛ بل وافته المنية كما هو معلوم قبل أن يحرر الكتاب كما يريد -هو محرّر في نفسه- لكن كما يريد.

ولهذا وقع بالإجازة في مواضع بدون قراءة وهو الكتاب الوحيد من كتب أهل الحديث الذي فيه مواضع لم ينقلها أحد من أهل العلم ألبتة بالسماع عن مصنّفه، قطع رواها الراوي عن مسلم وهو ابن سفيان المعروف رواها بالإجازة قطع كبيرة منه؛ ثلاث قطع متفرقة إنما رواها بالإجازة بلا سماع ما قرأها على مسلم ولا هو أيضاً عرضها عليه وإنما أجازها له لأنّه ما اكتمل.

المقصود من هذا أنّ الإمام مسلم عرضه على مشايخ عصره، فأقروا له وسلموا، فنشر فلا بد من العرض، والعرض ليس معناه أن تعرض للبركة أو أن تعرض لتأخذ القبول، لا، تعرض فإذا قيل لك: لا يصلح، فقل: هذا ما أردت. إذا قيل لك: هذا وهذا وهذا غيره وألغى، فتقول: هذا ما أردت. يعني أن

تستفيد، وهذا الذي ينبغي في مسألة البحوث.

لكن الأصل أن طالب العلم يبحث لا للنشر يبحث لنفسه.

فنفسية البحث هذه مهمة؛ لأنها تقوي طالب العلم، ولا بد أن يكون عندك دفتر تحقق فيه مسألة في التفسير، تجمع أقوال المفسرين والصحيح فيها تشوف كلام السلف وما يدور حول ذلك، مسألة فقهية، فتوى، سمعت فتوى غريبة من أهل العلم تريد أن تنظر إلى اختلاف أهل العلم فيها، فتبحث في ذلك حتى يستقيم العود في طلب العلم.

المسألة الثالثة والأخيرة نختم بها هذه الكلمات:

أن طلب العلم يحتاج إلى نفسية خاصة

يعني أن يكون طالب العلم دائماً يتجدد مع نفسه في حبه للعلم، وهذا لا يكون إلا بشيء، وهو كثرة الاتصال بأهل العلم وسماع كلامهم، والحرص على لقائهم وعدم تهجين أقوالهم؛ لأن الذي يعترض على أهل العلم يُحرم وهذا كثير وشاهدنا منه أشياء.

فطالب العلم ينبغي له لاستكمال جوانب نفسه أن يكون كثير الاتصال بأهل العلم؛ لأن رؤية طالب العلم ونظره في الأشياء وتحليله للعلوم وتعامله مع العلم وتعامله مع الكتب وتعامله مع أهل العلم وأقوال أهل العلم ويعرض عليه مسائل ويسمع آراءه ويرى تصرفاته، هذه تفيد طالب العلم في كثرة إدمانه عليه وإقباله عليه، وفي ملازمة الصلة بأهل العلم.

البعيد عن أهل العلم إذا انقطع، إذا انقطع عن نفسه، لكن الذي له صلة بأهل العلم إذا انقطع سألوا عنه وين راح؟! وش تغير في الأمر؟! ولماذا تركت؟! والذي حصل؟ فتكون صلته بهم مدعاة للمواصلة في طلب العلم، لكن لا يكون في اتصاله بهم ينظر نظر المعترض؛ لأنه إذا كان ينظر نظر المعترض معناه أنه لن يستفيد منهم ولن يقبل، بل لا بد أن ينظر ويصحب على الاستفادة لا المجادلة وكن حريصاً عن أن تسمع في مجالس أهل العلم أكثر؛ بل أكثر وأكثر من أن تتكلم، تسمع وتسمع وتُجمع، تجمع في ذهنك تجمع أخبار وتجمع الفتاوى وتجمع الآراء وتجمع التحليلات والأقوال، وما شابه ذلك حتى يكون لك بذلك إن شاء الله فرصة لأخذ العلم كما ينبغي.

نكتفي بهذا القدر، ونجيب على بعض الأسئلة في هذا.



[الأسئلة]

سؤال (١٠): يقول بعض العلماء: لا تأخذ القرآن من مُصحفي ولا العلم من صَحفي. فما هو ضابط العلم هذا؟ وهل القراءة في كتب الفقه والتفسير والتوحيد الميسرة من ذلك «حاشية كتاب التوحيد» و«القول المفيد»، و«الشرح الممتع» و«تفسير ابن سعدي»، و«ابن كثير» و«زاد المعاد»، ونحوها من الكتب الميسرة وما هي التي لا بد لها من شيخ ومعلم..؟

الجواب: (لا تأخذ القرآن من مُصحفي) يعني ممن حفظ القرآن وقرأه من المُصحف؛ ما قرأه على شيخ، لا تأخذ منه القرآن؛ لأنه يكون ولا بد يفوته بعض الأشياء؛ إما في الضبط أو في آداب التلاوة أو في التجويد أو في الوقف أو نحو ذلك مما يميّز به القارئ من غيره. سابقا قبل أن يكون هناك شكل للمصحف يعني شكل تام بالحركات في وقت مقولة هذه الكلمة كانت المصاحف بلا شكل بنقطة ولكن لم تكن مشكولة فكان يحصل فيها خلل وتصحيف حتى نسب لبعض الكبار من المشهورين تصحيفات في ذلك، مثل ما يروى عن ابن أبي شيبة عثمان ومثل ما يروى عن غيره من تصحيفات في التلاوة.

بل قد ذكر لي بعض الثقات أن أحد الأساتذة في الجامعة من الجامعات غير الشرعية كان يدرس مادة ثقافة أو شيء من هذا فأتى وهو يقرأ بسرعة، يملئ عليهم أو عنده أوراقه التي يطالع منها، قال: وقال تعالى: وإذ نتفنا الحبل فوقهم. نقل لي الثقة هذا وكان حاضرا، يقول: فقلنا له: يا شيخ الآية في سورة الأعراف ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ صُلْحٍ﴾ [الأعراف: ١٧١]، ما استسلم هو للحق، قال: لا، لا، فيها قراءات: (وإذ نتفنا الحبل فوقهم) فيها قراءات!! هذا من الاستهانة بالعلم... طيب تعلم هذا أو تخلصا؟ إن كان تخلصا هذا والعياذ بالله تتخلص أنت من التبعة، وتنسب شيء لـ... يعني عدم احترام للعلم... إلخ.

المقصود هذا من جهة الصَحفي من جهة أنه يقرأ وهو ما يعرف.

مرة أيضا واحد في مكتبة أنا سمعته، لا؛ بل سمعه غيري وهو الذي حدثني بها، يقول: يسأل وهو جاء من غير هذه البلاد وهو ما يعرف القرآن وعنده ولد عليه سورة الظاهر يحفظها قال السورة... السورة... هو عنده منهجه يبدأ من سورة الهمزة... إلخ، وهي سورة الهمزة... يبدأ من سورة الهمزة... إلخ!! فمثل هذا هو الذي قيل في هذه الكلمة لا تأخذ القرآن من مُصحفي؛ لأنه يدرس بالباطل وبالغلط، ولا العلم من صَحفي، وهي أصح من صَحفي لأن النسبة للجمع لا بد من إعادتها للمفرد، القاعدة في النسبة في النحو عند البصريين أن النسبة تكون للمفرد، مثلا ستنسب للدول لا تقول: دولي وإنما تنسب إليه بالمفرد دَوْلَة، ترجع الجمع إلى مفردة ثم تنسب إليه فتكون النسبة دَوْلِي، ستنسب للصَّحْف لا بد أن ترجعها إلى مفردا صحيفة فتنسب إليها صَحْفِي. في المدينة مدني، وهذه هي القاعدة إلا في ما شذ لأجل وقوع الالتباس، مثل النسبة للمدائن - المدائن المعروفة - بالمدائني، وأشباه ذلك لأجل أنه لو أرجعت إلى أصلها مدينة ونسب إليها مدني لوقع الالتباس بين المدني نسبة إلى المدائن والمدني الذي هو نسبة

إلى المدينة، في بحث معروف في النحو.

المقصود أن صحتها صَحَفِي بفتحيتين وليس صُحُفِيًّا، مثل ما هو شائع في الأخبار وفي بعض الجرائد إلى آخره.

(لا تأخذ العلم من صَحَفِي)، يعني ممن قرأ في الكتب دون أشياخ لأنه سيرجح من عند نفسه سيرجح بناءً على ما قرأه، والعلم لا يؤخذ هكذا، العلم منه شيء للترجيح ومنه شيء للبحث، الأقوال كثيرة وتنوع الأقوال وما أورده أهل العلم في شروحاتهم، هذا طويل لكن منه شيء للإطلاع منه شيء لمعرفة ما قيل في المسألة، للنظر، لعله يكون له شواهد له قوة... إلخ.

فمن كان علمه من الصُّحُف فإنه لا يكون على الجادة السوية، بل لابد أن تجد عنده شواذ وعنده أغلاط يخالف بها أهل العلم.

ولهذا عابوا على ابن حزم -مثلاً- عابوا عليه في مسائل الحج، أشياء وهم فيها وانتقدها ابن القيم في «زاد المعاد» وعقد لها فصلاً طويلاً، أغاليط ابن حزم في الحج لأنه ما حج أصلاً، ولا تلقى كتاب الحج عن أحد من أهل العلم.

وكذلك ابن القطان الفاسي العالم المشهور صاحب كتاب «بيان الوهم والإيهام» انتقده الذهبي وغيره بأنه لم يأخذ علم الرجال ولا علم الحديث عن المشايخ عن العلماء، لهذا وقع في أوهام وفي أشياء تفرد بها كثيرة.

ولهذا سلسلة العلم إذا اتصلت يكون الاجتهاد واقع في أصوله ما يكون بعيداً، والذين خرجوا بأقوال شاذة في الأمة، أو أقوال غريبة خالفوا بها قول المحققين من أهل العلم أو الجمهور، لابد أن يكون فيهم هذا المتنوع أنهم فاتهم الأخذ عن الأشياخ في ذلك، وهناك أمثلة في التاريخ كثيرة.

المرء يحرص على أن يستفيد من أهل العلم لأجل أن يكون طلبه للعلم على أصوله، أما من أخذ من الصحف دون الأشياخ فإن هذا يكون عنده نقص.

إذا حصل أنه أخذ عن الأشياخ في أصول العلوم ثم توسع بالقراءة في الكتب فلا عيب، هذا سنة كثير من أهل العلم بل الأكثر من أهل العلم أنهم لا يظنون أعمارهم يقرؤون على المشايخ، بل جملة من عمره يقرأ فإذا حصل الأصول وشهد له بذلك واستشار شيخه ممكن أنه بعد ذلك يترك القراءة للمشايخ ويأخذ يقرأ لوجود الأصول عنده الأصول في التوحيد والأصول في التفسير الأصول في الحديث وفي الفقه... إلخ؛ يعني الأشياء التي يربط بها العلم.

وكما ذكرت لك في أول الكلام: كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل إلى بطون الكتب، ولكن بقيت مفاتيحه بأيدي الرجال.

سؤال (٢٠): لو تكلمت أحسن الله إليك عن المراجعة والمذاكرة بين طلبة العلم؟

الجواب: هذا مهم لا شك أن يكون لطالب العلم صديق في مثل همته يكون بينه وبينه مراجعة في العلم يحفظ ويُسمَع عليه ويتراجعان، وإذا ضبط مسألة أو شرح حديث تناقشا فيه أو ضبطاً باب فقه

تناقشا فيه، هذا يورد إشكال وهذا يورد شرح شيء منه وهذا يشرح شيء منه، كما كان العلماء السالفون يتذكرون العلم المحفوظ والمفهوم.

ولما قدم أبو زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم الرازي المعروف الإمام قرين أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، لما قدم بغداد في مدة مكثه في بغداد لم يصل الإمام أحمد نافلة كان يقتصر على الفرائض فقل له في ذلك، فقال: استعضنا عن النوافل بمذاكرة أبي زرعة. فمذاكرة العلم تقوي العلم وتثبته، ويكون معها قوة في الإدراك والفهم والحفظ، إلى آخر ذلك.

لكن بشرط أن يكون الذي تذاكر معه في نفس مستواك كي يفهم مثل ما تفهم وتشارك أنت وإياه في حفظ ما تحفظون متدرجاً، كذلك في الحضور على العلماء.

أسأل الله -جلّ وعلا- لي ولكم التوفيق والسداد؛ وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد.

